

على الرغم من مرور حوالي سبعين عاماً على ظهور نصوص الرازي الفلسفية ؛ فما زال البحث في فلسفة الرازي جديداً أو قاصراً عن إبراز دوره الصحيح في هذا الميدان. والمتدبر لفلسفة الرازي يدرك أنه كان يرى سقراط مثله الأعلى في الفلسفة. وحين اتهم الرازي من قبل خصومه بأنه لم يكن حكيماً فيلسوفاً، ردّ عليهم بتوضيح المعنى الدقيق الشامل للفلسفة، في "السيرة الفلسفية". لكن مسألة تحديد ملامح فلسفة الرازي لا تقف عند سقراط، بل تتصل بديموقريطس وأفلاطون. وإذا كان الرازي قد رأى في سقراط نموذجاً مثالياً للفلسفة الأخلاقية، فإنه قد تابع أيضاً ديموقريطس في نظريته الذرية في طبيعة المادة، كما تابع أفلاطون في مسائل ما بعد الطبيعة مبتعداً عن التيار المشائي الذي مثله في الإسلام بأحاء متفاوتة كل من الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. والحقيقة أن الرازي كان ثابتاً في مخلصته للفلسفة الأرسطوطاليسية. وإذا كان لنا أن نحدد مصادره الفلسفية اليونانية فهي بكل تأكيد، الفيثاغورية والأفلاطونية والأبيقورية والرواقية.

وعند النظر في العناصر المتوافرة من فلسفة الرازي يتبين للناظر أمران: أولهما، أن الرازي قد عالج منهجياً الموضوعات الفلسفية الكبرى التي شغلت الفلاسفة قبله، وهي موضوعات المنطق، والفلسفة الطبيعية، وما بعد الطبيعة، والأخلاق. وثانيهما، أن المسألة الإلهية هي المحور الأساسي في فلسفة الرازي، وهي تشكل منظومة متكاملة متجانسة، قوامها خمسة مبادئ أزلية قديمة هي :

و من الممكن ملاحظة أثر أرسطو في نسيجه المنطقي في المقولات والقياس والبرهان وعموم المداخلات المنطقية حتى تلك التي تعود إلى تحديد الأجناس والأنواع التي نظر فيها فرفوربوس في كتابه "إيساغوجي" (أو المدخل). ومع أن فلسفة الرازي الطبيعية تستلهم بالدرجة الأولى الأفكار الفيثاغورية والديمقراطية فإنها تصدر أيضاً عن عناصر أرسطوطاليسية. ومن الواضح أن ميتافيزيقا الرازي تستلهم صراحة، محاورات أفلاطون.

القدماء الخمسة عند أبي بكر الرازي هي: الباري [الله] والزمان [الأزل] والخلاء [الفضاء] والهيولى [المادة الاصلية] والنفس .

وتنسب هذه العقيدة في بعض المصادر (الفخر الرازي ، الشهرستاني ، ناصر الدين الطوسي) إلى ما يسمى بالحرانية. من هم هؤلاء الحرانية؟ تأتي الكلمة من حران ، مدينة الصابئة الشهيرة ومركز التعلم قبل الإسلام مباشرة وفي القرون الأربعة الأولى من العصر الإسلامي. يعتقد ماسينيون أن الحرانية هم أشخاص وهميون ، وأن ما نجده عنهم في مصادرها هو مجرد "قصة حب أدبية" .

من الخمسة الأبدية ، اثنان هما حيان وعاملين: الله والروح ؛ واحد هو سلبي و. لا حي: مادة تتكون منها كل الأجسام ؛ واثنان ليسا حيين وفعالين ، وغير منفعلين: الفراغ والمدة. ٤٥ في بعض الأحيان نجد فراغ (الخلا ") بدلا من الفضاء (مكان) ، ومدة (الدهر) بدلا من الساعة (زمان) أو مدة بالمعنى المحدود .

وهو يعتقد أن مادة هذا العالم مخلوقة محدثة من مادة أولى غير متعلقة بصورة قبل الخلق والحدوث، وأن هذه المادة الأولى الهيولى قد سبقت وجود العالم المادي منذ الأزل، فالهيولى إذن مبدأ أزلي عنده. والهيولى بما هي أزلية، لا تحتاج إلى مكان جزئي محدد، وإنما إلى المكان المطلق فحسب؛ وهو الخلاء، الذي يتصف بأنه لا يتناهى، وهو مبدأ أزلي يمكن أن ينفصل عن الجسم المادي، فيكون بعد ذلك مكاناً مطلقاً موجوداً منذ الأزل، مساوقاً لوجود الزمان المطلق أيضاً. والزمان عنده مبدأ أزلي مستمر لا يتعلق بحركة الأجسام المادية

في المكان الجزئي، وإنما تكشف عنه الحركة وجوداً مستمراً وتظهره من سياقه الأزلي محدثاً. لذلك، فالزمان المطلق لا ينتهي، ولا ينحصر، وهو الدهر؛ وهو موجود قديم سابق على وجود الزمان الجزئي في العالم المحدث وحركاته، وهو مطلق قرين لإطلاق المكان (الخلاء) والمادة الأولى الهيولى بلا صورة. ثم تأتي النفس المجردة قبل اقترانها بالصورة المادية. وهي عنده مبدأ أزلي، كانت موجودة هكذا منذ القدم قبل الصورة، وقبل أن تتحدد بمكان جزئي للأجسام، وقبل أن تكون في حركة الأجسام المحدثه المظهرة للزمان المحصور. وبين النفس والهيولى رباط عشق، تتجلى منه قدرة الباري (الله) على الخلق، في اتحادهما عندما خلق العالم بصورته المادية، وعندما تتحرر النفس من المادة (المحدثه) في هذا العالم، فإنها تعود إلى العالم العقلي.

١- (الباري) الله (أحد المبادئ الأزلية القديمة التي تقوم عليها ميتافيزيقا الرازي. والباري هو خالق هذا العالم ومُحدثه باتحاد النفس والهيولى، وإخضاع وجودهما الكوني للمكان الجزئي والزمان المحصور في عالم الكون والفساد. والباري لم يزل خالقاً للعالم وأجزائه في كل مرة تتحدد فيها النفس بالهيولى.

(٢) الروح

لم يخلق الله، بحسب الرازي، العالم بأي ضرورة، لكنه قرر خلقه بعد أن لم يكن لديه في البداية إرادة لخلقه.

هذا الأبدى الآخر هو الروح التي كانت حية ولكنها جاهلة. كانت المسألة أبدية أيضاً. بسبب جهلها، كانت الروح مولعة بالمادة وشكلت منها أشكالاً للحصول على الملذات المادية. لكن المادة كانت متمردة على الأشكال. فتدخل الله لمساعدة الروح. كانت هذه المساعدة أنه صنع هذا العالم وخلق فيه أشكالاً قوية يمكن أن تجد فيها الروح ملذات جسدية. ثم خلق الله الإنسان ومن جوهر لاهوته خلق ذكاء الإنسان ليوقظ الروح ويظهر لها أن هذا العالم ليس عالمها الحقيقي.

لكن الإنسان لا يستطيع بلوغ العالم الحقيقي إلا بالفلسفة. من يدرس الفلسفة ويعرف عالمه الحقيقي ويكتسب المعرفة ينقذ من حالته السيئة. تبقى الأرواح في هذا العالم حتى توقظها الفلسفة على اللغز وتوجهها نحو العالم الحقيقي. ٥٩

(٣) المادة

تتكون المادة المطلقة أو الأولى من الذرات. كل ذرة لها حجم. وإلا من خلال جمعهم لا يمكن تشكيل أي شيء. إذا تم تدمير العالم، فإنه أيضاً ينتشتت إلى ذرات. كانت المادة موجودة منذ الأبد، لأنه من المستحيل الاعتراف بأن الشيء يأتي من لا شيء.

ما هو أكثر إحكاما يصبح جوهر الأرض، فما هو أكثر تخلخلاً من مادة الأرض يصبح مادة الماء، وما زال أكثر تخلخلاً يصبح مادة الهواء، وما يزال أكثر وأكثر مخلخلاً يصبح مادة نار.

يتكون جسم الكرة أيضاً من جسيمات المادة، لكن تكوينها يختلف عن تركيبات الأجسام الأخرى. والدليل على ذلك أن حركة الكرة ليست موجهة إلى مركز العالم، بل إلى محيطه. جسمه ليس مضغوطاً جداً، مثل جسم الأرض، ولا مخلخل جداً مثل جسد النار أو الهواء.

الصفات مثل الثقل ، والارتفاع ، والظلام ، واللمعان يمكن تفسيرها من خلال الفراغ الموجود داخل المادة. الجودة
حادثة تنسب إلى الجوهر ، والجوهر مادة. ٦٠

يعطي الرازي دليلاً لإثبات خلود المادة. أولاً ، الخلق واضح ؛ يجب أن يكون هناك خالقها. ما هو مخلوق ما هو إلا
مادة مشكّلة. لماذا إذن نثبت ، من المخلوق ، أسبقية الخالق ، وليس أسبقية الكائن المخلوق؟ إذا كان صحيحاً أن
الجسد مخلوق (أو بشكل أكثر تحديداً: صنع [masnu]) من شيء ما بقوة الفاعل ، فعندئذٍ يجب أن نقول أن هذا
الفاعل أبدي وغير قابل للتغيير من قبل: فعله ، ما الذي حصل على هذا الفعل من يجب أن تكون القوة أبدية أيضاً قبل
أن تتلقى هذا الفعل. هذا المتلقي مهم. ثم المادة أبدية.

يقوم الدليل الثاني على استحالة الإبداع من العدم . الإبداع ، أي صنع شيء من لا شيء أسهل من تأليفه. إن خلق الله
للإنسان بالكامل بضربة واحدة سيكون أسهل من تكوينهم في أربعين عاماً. هذه هي الفرضية الأولى. لا يفضل الخالق
الحكيم أن يفعل ما هو أبعد من قصده عما هو أقرب ، إلا إذا كان عاجزاً عن فعل ما هو أسهل وأقرب. هذا هو
الافتراض الثاني. الاستنتاج من هذه المقدمات هو أن وجود كل الأشياء يجب أن يكون سببه خالق العالم من خلال
الخلق وليس التكوين. ولكن من الواضح أن ما نراه عكس ذلك. كل الأشياء في هذا العالم نتجت عن التكوين وليس
بالخلق. يترتب على ذلك بالضرورة أنه غير قادر على الخلق من العدم وأصبح العالم من خلال تكوين الأشياء التي
يكون أصلها مادة.

يضيف الرازي ، الاستقراء الشامل يثبت ذلك. إذا لم يكن هناك شيء في العالم إلا من شيء آخر ، فمن الضروري أن
تكون الطبيعة مصنوعة من شيء آخر ، وهذا الشيء الآخر هو مادة. لذلك ، المادة أبدية. لم تكن في الأصل مؤلفة ،
لكنها مشتتة. ٦١

(٤) الفضاء

كما ثبت أن المادة أبدية ، وبما أن المادة يجب أن تحتل الفضاء ، فهناك مساحة أبدية.

يميز الرازي بين نوعين من الفضاء: عالمي أو مطلق ، وخاص أو نسبي. الأول لانهاية ولا يعتمد على العالم
والأشياء المكانية فيه.

يوجد الفراغ داخل الفضاء ، وبالتالي داخل المادة. كدليل على اللانهاية للفضاء ، يقول الرازي أن الشيء المكاني لا
يمكن أن يوجد بدون مساحة ، على الرغم من أن الفضاء قد يوجد بدون أشياء مكانية .. الفضاء ليس سوى وعاء
للأشياء المكانية. ما يحتوي على الاثنين هو إما جسد أو لا بدن. إذا كان جسداً ، فلا بد أنه في الفضاء ، وخارجه
يوجد مساحة أو لا مكان ؛ إذا لم يكن هناك فضاء ، فهو جسم ومحدود. إذا لم يكن الجسد فهو الفضاء. لذلك ، الفضاء
لانهاية. إذا قال أحدهم أن هذا الفضاء المطلق له نهاية ، فهذا يعني أن حدوده هي جسم. نظراً لأن كل جسم محدود ،
وكل جسم في الفضاء ، فإن الفضاء لا نهائي بكل معنى الكلمة. ما هو لانهاية هو أبدي ، وبالتالي فإن الفضاء أبدي.

ويملك الفراغ قوة جذب الأجسام ؛ لذلك ، يتم حفظ الماء (أو الاحتفاظ به) في زجاجة مغمورة بالماء مع فتح الفتحة
لأسفل.

(٥) الوقت

الزمن حسب الرازي أبدي. وهي مادة تتدفق (جوهر يجري). إنه ضد أولئك (أرسطو وأتباعه) الذين يتظاهرون بأن
الوقت هو عدد حركات الجسم ، لأنه لو كان الأمر كذلك ، لما كان من الممكن أن يتحرك شينين متحركين في وقت
واحد برقمين مختلفين .

يُميز الرازي بين نوعين من الوقت: الوقت المطلق والوقت المحصور. الوقت المطلق هو المدة (الضهر). إنه أبدي ومتحرك. أما الوقت المحدود فهو حركة الأفلاك والشمس والنجوم. إذا تخيلت حركة المدة، يمكنك تخيل الوقت المطلق، وهذا الخلود. إذا تخيلت حركة الكرة، فإنك تتخيل الوقت المحدود.

لقد بحث الرازي في

- ١- بحث بما بعد الطبيعة او الميتافيزيقا وطبيعة الوجود
- ٢- اعتقد بوجود خمسة مكونات ابدية قديمة هي (الله - الروح - المادة - الفراغ - الزمن)
- ٣- الاله لديه لم يخلق الكون من العدم، انما اعاد ترتيب المكونات الاربع التي وجدت مقدما.
- ٤- الروح تمثل الطابع الروحي للكون، فيقول الرازي ان الاله شكل الروح ومنحها خصائص طبيعية والقدرة على التفكير لتمييز طريقها من العبودية او الحرية وتدرج المبادئ الاربع (الله - الفضاء - الوقت والمادة) سؤال هل اخذ الرازي افكاره من القدماء ولماذا.
- ٥- اما المادة والفراغ والزمن فهي تشكل الجزء الطبيعي الخالي من الروح او الجزء اللاروحي من النظرية
- ٦- الفراغ يمثل العلاقة بين الجزيئات والذرات، فكثافة الجزيئات يعني زيادة وزن المواد وصلابتها والعكس صحيح
- ٧- اما المادة والزمن فلهما شكلان الاول محدد والآخر مطلق غير محدد وهكذا الزمن فهو محدود ومطلق، مثل حركة الجسم المحدود او المطلق لحركة الوجود.

اسئلة تحفيزية

- ١- سؤال هل هناك في الفلسفة الاسلامية شيء محدود ومطلق اعطونا نماذج لهذه الثنائيات
- ٢- سؤال من قال بالذرات من الفلاسفة القدماء ن وهل اطع الرازي على فلسفته؟
- ٣- كيف يمكن نقد الرازي في الاراء الميتافيزيقا
- ٤- عدد ١٠ مصطلحات للرازي
- ٥- ماهو المصطلح وما هو المفهوم عند الرازي
- ٦- هل تعد القدماء الخمسة